الدولة العباسية

البيت العباسي:

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بقي عقبه من كثير من أولاده، ولكن العدد الأكبر والجمهور العظيم كان من ولديه العباس وأبي طالب، فقد ملأ بنوهما السهول والحزون من الأقاليم الإسلامية من أقصى حجر في بلاد المغرب إلى بلاد ما وراء النهر في أواسط آسيا.

ولكل من البيتين تاريخ جليل بين تاريخ الأمم الإسلامية، ونحن الآن شارعون في تاريخ البيت الأول.

العباس بن عبد المطلب:

أمه نتيلة بنت جناب بن كليب من النمر بن قاسط إحدى قبائل ربيعة بن نزار، ولد قبل حادث الفيل بثلاث سنين، فهو أسن من رسول اللّه ﷺ بثلاث سنين.

كان العباس من سادات بني هاشم وعقلائهم وكان صديقاً وفياً لأبي سفيان صخر بن حرب. ولما جاء الإسلام كان من المخلصين لرسول اللّه ﷺ وإن لم يظهر متابعته. وكان هو الذي تولى إحكام الأمر لرسول اللّه مع الأنصار حين الهجرة، فقد قال لهم في ليلة البيعة: يا معشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه واللّه من كان منا على قوله ومن لم يكن منا على قوله منعة للحسب والشرف وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنت أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبةً فإنها سترميكم عن قوس واحدة فارتأوا رأيكم وأتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا عن ملأ منكم واجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه. وأخرى صفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟ قال: فأسكت القوم وتكلم عبد اللّه بن عمرو بن خزام فقال: نحن واللّه أهل حرب غذينا بها ومرنا عليها وورثناها عن آبائنا كابراً عن كابر نرمي بالنبل حتى تفنى ثم نطاحن بالرماح حتى تكسر ثم نمشي بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا فقال العباس: أنتم أصحاب حرب فهل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة. وقال البراء بن معرور: سمعنا ما قلت، إنا واللّه لو كان في أنفسنا غير ما تنطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول اللّه ﷺ. وتلا رسول اللّه ﷺ القرآن ثم دعاهم إلى اللّه ورغبهم في الإسلام وذكر الذي اجتمعوا له. فأجاب

البراء بن معرور بالإيمان والتصديق فبايعهم رسول اللّه ﷺ على ذلك والعباس بن عبد المطلب آخذ بيد رسول اللّه ﷺ يؤكد له البيعة تلك الليلة على الأنصار.

ولما خرجت قريش إلى بدر أخرج العباس وبنو أخيه إليها كرهاً، ولذلك قال النبي ﷺ لأصحابه يوم بدر: من لقي منكم العباس وطالباً وعقيلاً ونوفل وأبا سفيان فلا تقتلوهم فإنهم أخرجوا مكرهين. وكان العباس في جملة أسرى بدر ففدى نفسه وفدى عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ثم رجع وأقام بمكة، وكان مقامه بها أنه كان لا يغبى على رسول اللّه ﷺ خبراً يكون إلا كتب به إليه، وكان من هناك من المؤمنين يتقوون به ويصيرون إليه، وكان لهم عوناً على إسلامهم. ولقد كان يطلب أن يقدم على النبي ﷺ، فكتب إليه عليه السلام إن مقامكم مجاهد حسن. فأقام بأمر رسول اللّه ﷺ. وهاجر إلى المدينة قبيل الفتح وحضر معه فتح مكة، وكان سبباً في نجاة أبي سفيان وفي تشريفه بقول رسول اللّه ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن». وحضر غزوة حنين وكان له فيها أحسن بلاء ثم خرج إلى المدينة فأقام بها.

وكان رسول اللّه ﷺ يحبه ويكرمه وعلى ذلك جرى الخلفاء من بعده، وكانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب (سنة ٣٢) وهو ابن ثمان وثمانين سنة ودفن بالبقيع.

وأعقب من الولد الفضل وهو أكبر أولاده، وبه كان يكنى وعبد اللّه وعبيد اللّه وعبد الرحمن وقثم ومعبد وأم حبيبة، وأمهم جميعاً لبابة بنت الحارث بن حزن من بني هلال بن عامر من قيس عيلان، وفي ولد أم الفضل هؤلاء من العباس يقول عبد اللّه بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فحلٍ ... بجبل نعلمه أو سهل
كتة من بطن أم الفضل ... أكرم بها من كهلة وكهل

وكان للعباس من غيرها كثير بن العباس وتمام وصفية وأميمة وأمهم أم ولد، والحارث وأمه جميلة بنت جندب من هذيل. وليس للفضل وعبد الرحمٰن وقثم وكثير وتمام عقب. عقب العباس من سواهم، ولا سيما من عبد اللّه فإنه هو الذي انتشر منه عقب العباس؛ وهو جد الخلفاء العباسيين.

عبد اللّه بن العباس:

هو ثاني ولد العباس بن عبد المطلب. ولد قبل الهجرة بسنتين، فكانت سنه حين توفي رسول اللّه ﷺ ثلاث عشرة سنة. وكان عليه السلام يحبه ودعا له فقال: «اللّهم علّمه التأويل». فكان رضي اللّه عنه أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه في الدين على ما أوتيه من لسان

طلق، ذلق، غواص على موضع الحجة. وكان عمر رضي اللّه عنه يحبه ويدخله مع كبار الصحابة في مجلس شوراه الخاص ويستفتيه في كثير من المسائل على صغر سنه. وولاه عثمان الموسم (سنة ٣٥) من الهجرة وهو محصور فأقام الموسم. ولما بويع علي رضي اللّه عنه بالخلافة كان له عضداً ونصيراً في حروبه كلها وولاه البصرة وأعمالها ويقال إنه انحرف عنه أواخر أيامه وترك البصرة ورحل إلى مكة فأقام بالطائف، وقيل: إن ذلك كان بعد مقتل علي.

ظل ابن عباس مقيماً في الطائف حياة معاوية كلها وكان معاوية يجله ويتودد إليه كثيراً كما كان يفعل مع سائر بني هاشم، وكانت وفاته (سنة ٦٨).

وعبد اللّه هو الذي نما من نسله البيت العباسي، لأن إخوته لم يكن لهم نسل باقٍ وعقب عبد اللّه الذي نما إنما هو من ولده علي بن عبد اللّه بن العباس.

علي بن عبد الله بن العباس:

أمه زرعة بنت مشرح بن معد يكرب من كندة. ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب (سنة ٤٠) من الهجرة، فسمي باسمه وكني بكنيته أبي الحسن، وهو أصغر أولاد أبيه وكان سيداً شريفاً بليغاً، ويقال كان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمهم وأكثرهم صلاة، وكان مفرطاً في الطول إذا طاف فكأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله. وقد أقطعه بنو أمية قرية اسمها الحميمة بالشراة (وهي صقع بالشام في طريق المدينة من دمشق بالقرب من الشوبك وهو من إقليم البلقاء) فأقام بها وفيها ولد أكثر أولاده، وكانت وفاته (سنة ١١٧).

وأعقب على اثنين وعشرين ولداً ذكراً وإحدى عشرة أنثى. وذكور أولاده هم محمد وداوود وعيسى وسليمان وصالح وأحمد وبشر ومبشر وإسماعيل وعبد الصمد وعبد اللّه الأكبر وعبيد اللّه وعبد الملك وعثمان وعبد الرحمٰن وعبد اللّه الأصغر ويحيى وإسحاق ويعقوب وعبد العزيز وإسماعيل الأصغر وعبد اللّه الأوسط. ستة منهم لا عقب لهم والباقون أعقبوا كثيراً. ومنهم انتشر البيت العباسي وكثر جداً وبيت الخلافة في محمد أكبر أولاده.

محمد بن علي:

هو والد إبراهيم الإمام وأبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور الذين هم مبدأ الخلافة العباسية. وهو الذي ابتدأت الدعوة على يديه، وكان ذلك في حياة أبيه علي، ولكن لم يكن لأبيه ذكر في هذه الدعوة.

وحيث قد ذكرنا هذا البيت الرفيع العماد. فلنشرع في بيان كيف وجدت فكرة الخلافة عند العباسيين وكيف كانت الدعوة إليهم وكيف تمكنوا من قلب الدولة الأموية والحلول محلها.

كيف نشأت فكرة الخلافة في بني العباس

توفي رسول اللّه ﷺ وليس يؤثر عنه خبر مكشوف فيمن يتولى خلافة المسلمين بعده، وكان العباس بن عبد المطلب قد أشار على علي بن أبي طالب أن يدخل على رسول اللّه ﷺ وهو مريض فيسأله عن الخلافة بعده فإن كانت فيهم وإلا أوصى بهم من سيكون خليفة. فامتنع من ذلك علي قائلاً: إنه إن منعنا إياها لا ننالها أبداً.

توفي رسول اللّه ﷺ والحال ما ذكرنا. فمال الجمهور الإسلامي إلى مبايعة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه بعد المناظرات التي جرت بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة. وكانت هناك فئة قليلة تميل إلى أن تكون الخلافة في بني هاشم رهط النبي الأدنين. ولم يكن فيهم من أعمامه إلا العباس بن عبد المطلب وكان من بني أعمامه جماعة رأسهم وذو الفضل والسابقة فيهم علي بن أبي طالب. ومع أن العباس كان في ذلك الوقت أسن بني هاشم لم يكن من هذه الفئة القليلة من يقدمه على علي بن أبي طالب لما لعلي من المزايا الكثيرة التي بيّناها فيما سبق. وكان علي نفسه يرى أنه أحق الناس أن يكون خليفة بعد رسول اللّه ﷺ وكذلك كانت ترى فاطمة زوجه. ومن أجل ذلك امتنع عن مبايعة أبي بكر مدة حياة فاطمة رضي اللّه عنها. فلما ماتت دخل فيما دخل فيه الجمهور، وبايع أبا بكر على ملأ من الناس.

عاش علي والعباس في عهد أبي بكر، ثم بايعا عمر لما عهد إليه أبو بكر بالخلافة وظلا مدة حياته محترمين مطيعين. إلى أن استخلف ثالث الخلفاء عثمان بن عفان بعد مناظرات طويلة بين رجال الشورى الذين عهد إليهم عمر اختيار الخليفة من بعده، وكان يرى أن رجال الشورى اتبع كثير منهم هواه في العدول عنه.

وفي أواخر خلافة عثمان توفي العباس بن عبد المطلب تاركاً عقباً كثيراً أشهرهم عبد اللّه بن عباس وهو ثاني أولاده ولم يعلم أن أحداً منهم كان يتطلع إلى الخلافة أو يأمل أن تكون له أو لأحد من أولاده.

بعد مضي ست سنوات من خلافة عثمان، وجدت حركة في بعض النفوس تتجه إلى نقل الخلافة من عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب، وقام بأمر ذلك دعاة انتشروا في الأمصار

الإسلامية الكبرى وهي الكوفة والبصرة والفسطاط، وتذرعوا إلى ذلك بالعيب في ولاة عثمان والطعن فيهم بأعمال زعموهم ارتكبوها. وكان من في مصر يكتب إلى من في المصر الآخر بما عندهم من ذلك فيشيعونه بين الناس، فيقول الناس: أما نحن ففي عافية مما ابتلي به هؤلاء وجميعهم يكتبون إلى ناس في المدينة بمثل ذلك حتى ملأوا البلاد طعناً. ولما وجدوا لذلك ارتياحاً من بعض النفوس انتقلوا من ذلك إلى الطعن في عثمان نفسه، فنسبوا إليه أموراً منها ما هو غير صحيح، ومنها ما هو صحيح وقد فعل أسلافه مثله فلم يقدر أن يطعن فيهم طاعن، وساعدهم لين عثمان وخوفه من فتح أبواب الفتنة على ما قصدوا إليه.

ألفت وفود غوغاء من الأمصار الثلاثة، ممن تأثر بهذه الفتن فذهبت إلى المدينة وهي حرم رسول الله ﷺ وحاضرة الإسلام الكبرى ومقر الخلافة الإسلامية متظاهرين ببث شكواهم من عمال عثمان، فأشكاهم عثمان من جميع ما شكوا منه، ولان لهم جداً حتى لا يوجد لهم سبيلاً إلى الفتنة، فأظهروا الاقتناع وأزمعوا الرحيل إلى أوطانهم، وسار كل وفد في الطريق التي توصله إلى مصره. وبعد أيام عادت هذه الغوغاء متمسكة بكتاب مزور زعموه صادراً من عثمان إلى عامله بمصر يأمره فيه بقتل رجال الوفد من المصريين عقاباً لهم وتنكيلاً، والكتاب مختوم بخاتم عثمان. فلما رأوه إياه حلف لهم أنه ما كتبه ولا أمر بكتابته، وهو صادق في يمينه، فاتهموا بذلك كاتبه مروان بن الحكم وطلبوا منه أن يسلمهم إياهم فأبى فأعلنوا العداء وصرحوا بما في أنفسهم من الشر، وحصروا عثمان في داره مدة ثم اقتحموا عليه داره وقتلوه ظلماً وعدواناً ففتحوا على المسلمين باب فتنة وانقسام لا يغلقه مرور الزمان ولا كر الأيام.

بعد أن تم لهم ما أرادوا عرضوا الخلافة على علي بن أبي طالب فقبلها بعد تردد. أمضى رحمه الله حياته في حرب مخالفيه في البصرة والنهروان وصفين، ولم تصف له الخلافة يوماً واحداً إلى أن اغتاله أحد الخوارج في رمضان (سنة ٤٠) من الهجرة في حاضرة خلافته وهي الكوفة.

كان الجمهور الإسلامي في ذلك الوقت قد انضم إلى خصمه معاوية بن أبي سفيان حيث كان في بيعته أهل الشام الذين هم أنصاره وأهل الحجاز واليمن ومصر. أما الكوفة، فكانت مقراً لشيعة علي ومحبيه الذين كان منهم من يرى تفضيله لا على خصمه معاوية فقط بل على من سبقه من الخلفاء أيضاً. ومع هذا فإنه لم ينل منهم ما يناسب تلك العقيدة من الطاعة والإخلاص، بل كثيراً ما أهملوا أوامره التي كان يصدرها إليهم من جهة الاستعداد لحرب أهل الشام. ولذلك أسباب لسنا بصدد بيانها الآن.

لما قتل رحمه الله رأت الشيعة أن يقوم في الخلافة مقامه ابنه الحسن وهو السيد العظيم

الشأن: أبوه علي بن أبـي طالب وأمه فاطمة بنت محمد ﷺ. وقد رأى رضي اللّه عنه بثاقب فكره أن الذين لم ينل منهم أبوه ما يرجوه لا يحسن الاعتماد عليهم، ففضل الصلح مع معاوية على شروط اشترطها لنفسه ولأتباعه وتنازل عن الخلافة مفضلاً جمع كلمة المسلمين والسكنى بطيبة مدينة رسول اللّه ﷺ، وأقام على ذلك حتى توفي بها (سنة ٥٠) من الهجرة.

وظل معاوية يسوس الناس بما عرف عنه من لين العريكة وسخاوة اليد، فاجتمعت الأمة على طاعته والرضا به، وسكنت الدعوة إلى أهل البيت، وخبت نار التشيع إلا أنها كانت مستكنة في أنفس ذويها ينتظرون الوقت الملائم للهبوب.

أدلى معاوية بالخلافة لابنه يزيد، فلما تولاها هبت أعاصير الفتنة في المدينة ومكة والكوفة. فأما المدينة فثارت تطلب عزل يزيد وتولى كبر الثورة بعض أبناء الأنصار ولكن هذه الثورة قمعت بشدة مسلم بن عقبة المري الذي أوقع بأهلها وقعة الحرة المشهورة، وأما مكة فعاذ بها عبد اللّه بن الزبير طالباً الخلافة لنفسه.

وأما الكوفة، فإن من بها من الشيعة أرسلوا يطلبون إليهم الحسين بن علي شقيق الحسن ليبايعوه بالخلافة وينزعوا من أعناقهم بيعة يزيد، فلم يكن من الحسين إلا أن لبّى دعوتهم مع علمه بتاريخهم مع أخيه وأبيه، وسار إليهم من غير جند يركن إليه ولا مال يستعين به. فقابلته ببعض الطريق جنود عبد اللّه بن زياد عامل يزيد بالعراق وكلها جنود عراقية ليس بها أحد من أهل الشام، فلم يكن له قبل بمدافعتهم وقتل رحمه اللّه بكربلاء. ولم تقم شيعة أبيه بشيء من المساعدة بل ظلوا في مساكنهم آمنين مطمئنين ولسان حال الحسين يقول:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

انتهت هذه الحوادث ومات يزيد، وعظم أمر ابن الزبير ودخل في دعوته أهل الحجاز ومصر والعراق، وأبى أن يبايعه رجال بني هاشم الذين كانوا بمكة كمحمد بن علي المشهور بابن الحنفية وعبد اللّه بن عباس وغيرهما فاضطهدهم وحبسهم.

ظهر في تلك الأوقات رجل أراد أن ينتفع من وراء هذه الفتن ويجعل لنفسه مركزاً في البلاد العراقية، مستعيناً بما تضمره قلوب أهل الكوفة من التشيع لأهل البيت، وهو المختار بن أبـي عبيد الثقفي. فذهب إلى الكوفة لابساً ثوب التشيع ناعياً على من قتل الحسين بن علي وداعياً إلى الإمام المهدي وهو محمد بن علي الذي صار بعد أخويه أكبر أبناء علي رضي اللّه عنه، وتوسل إلى غايته بكل ما يمكن من عبارات التأثير حقاً كانت أم كذباً، وكان عقلاء أهل الكوفة يسمونه الكذاب لكثرة ما كان يصدر عنه من الأكاذيب التي تؤثر عادة في أنفس الغوغاء. وقد أمكنه أن يجتذب إلى نفسه رؤساء الشيعة في الكوفة، وأرسل إلى محمد بن علي وهو مضطهد محبوس بمكة جنداً

يخلصونه من شدته فنجحوا. واجتمع في حج هذه السنة بمكة أربعة ألوية: لواء لابن الزبير، ولواء لبني أمية، ولواء للخوارج، ولواء لأصحاب محمد بن علي؛ إلا أن اللَّه حفظ الحاج فلم يقع قتال بين هذه الجنود المختلفة الأهواء التي يكره بعضها بعضاً.

لم يطل حبل المختار بالكوفة فإن عبد اللَّه بن الزبير جهز له جيشاً يقوده أخوه مصعب فسار إليه، ومالأه أكثر أشراف أهل العراق لما ظهر لهم من أكاذيب المختار وسوء طويته، وبذلك كانت الغلبة لمصعب، إلا أن ذلك لم يقض على التشيع في بلاد العراق بل ظل كامناً ينتظر من يثيره لينتفع منه.

أما محمد بن علي فإنه بايع عبد الملك بن مروان بعد أن استقر الأمر له وقضى على فتنة ابن الزبير ودانت له الأقاليم الإسلامية كلها، ومع قيامه بهذه البيعة لم تزل له شيعة تراه أحق بالخلافة إلا أنه مغلوب على أمره، حتى أنه لما مات غلا فيه بعضهم فأنكر موته، وقال: إنه تغيب وسيرجع، وقال في ذلك شاعرهم السيد الحميري:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والأئمة من بنيه ... هم الأسباط ليس بها خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

اضطربت أفكار الشيعة بعد موت محمد بن علي، فمنهم من استمر على ولائه وقال بغيبته ورجعته كما قلنا. ومنهم من تولى بعده ابنه أبا هاشم، ويقال لهذا الفريق والذي قبله الكيسانية؛ ينسبون إلى كيسان وهو لقب للمختار بن أبي عبيد.

ومنهم من تولى بعد الحسين ابنه علياً المعروف بزين العابدين وهو ممن بايع يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان ولم يعرف عنه أنه طلب الخلافة لنفسه ـ قال هؤلاء: إن الخلافة محصورة في أولاد علي من فاطمة رضي اللَّه عنها، ولما كان الحسين هو الذي قتل دون الخلافة فهي في عقبه؛ وعلي هو الذي بقي من أولاد الحسين بعد وقعة كربلاء. وقد يقولون: إن علياً هو الوصي أوصى إليه رسول اللَّه ﷺ بالخلافة، ثم الإمام من بعده الحسن، ثم الحسين، ثم علي؛ وهكذا لا بد للأمة من إمام منصوص عليه، ويقال لهؤلاء الشيعة الإمامية.

كان أكبر ولد العباس في ذلك الوقت علي بن عبد اللَّه بن عباس وهو الذي انتشر منه العباسيون. وكان قد فارق الحجاز وأقام بالحميمة التي أقامه بها بنو أمية والتي أنزله بها الوليد بن عبد الملك. وقد ظهرت فكرة انتقال الخلافة إلى ولد العباس منذ علي هذا، ويقال: إن السبب في ذلك أن أبا هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب لما حانت منيته كان مقيماً بالحميمة عند بني

عمه فأدلى بنصيبه من الخلافة إلى علي هذا وأولاده وأوصى أولياءه به فصارت الشيعة الكيسانية في جانب علي بن عبد اللّه بن عباس.

أما بقية الشيعة، فإنهم بعد وفاة علي زين العابدين افترقت بهم الطرق: فمنهم من تولى بعده ابنه محمداً الباقر زاعمين أنه الإمام بعد أبيه. ومنهم من قال: إن الخلافة حق لكل فاطمي اتصف بصفات العلم والشجاعة والسخاء، ومن هؤلاء من قام بمساعدة زيد بن علي بن الحسين، وهم المعروفون بالشيعة الزيدية.

والذين حاولوا الوصول إلى الخلافة وانتزاعها من بني أمية هم الشيعة الكيسانية الذين ساعدوا علي بن عبد اللّه، والشيعة الزيدية الذين ساعدوا زيداً وابنه يحيى.

وكانت وفاة علي بن عبد اللّه ومحمد الباقر في زمن متقارب بالحميمة، فانتقل ولاء الكيسانية إلى محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس لأن أباه أوصى إليه وانتقل ولاء الإمامية إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر، ولم يفعل أنصار الأئمة شيئاً ليرجعوا الخلافة إلى ذوي الحق فيها حسب رأيهم.

أما الشيعة الزيدية فقد دعاهم إلى النصر زيد بن علي فقاموا بنصرته حيث خرج بالكوفة طالباً الخلافة. إلا أن بني أمية لم تكن قد ظهرت فيهم العيوب التي أودت بحياتهم بعد؛ فسرعان ما انتصروا على زيد وأطفأوا ثورته وقتلوه وصلبوه. وثار بعده ابنه يحيى فكانت خاتمته خاتمة أبيه.

أما محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس فهو يعسوب القوم وذو العقل الراجح فيهم. فإنه رأى أن نقل السلطان من بيت إلى بيت لا بد أن يسبق بإعداد أفكار الأمة إلى هذا النقل وأن كل محاولة فجائية، لا بد أن تكون عاقبتها الفشل، فرأى أن يسير في المسألة بالأناة المصحوبة بالحزم، فعهد إلى شيعته أن يؤلفوا منهم دعاة يدعون الناس إلى ولاية أهل البيت بدون أن يسموا أحداً خوفاً من بني أمية أن يقضوا على المدعو إليه إذا عرف، ورأوا أن أحسن منطقة يبثون فيها الدعوة هي الكوفة وبلاد خراسان. أما الكوفة فهي مهد التشيع لأهل البيت من قديم فيمكنهم أن يأووا إليها ويجعلوها نقطة مواصلاتهم. وأما خراسان فسهولة الدعوة فيها مبنية على أمرين:

الأول: أن فكرة التشيع يفهمها الخراساني من المسلمين بسهولة، لأن مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي ﷺ صاحب الرسالة وسيد الأمة، وذلك قريب مما كان عندهم من الملك الذي يتوارثه أهل بيته، ولا يجوز نقله إلى غير بيت الملك إلا إن كان ذلك عن اختلاس.

الثاني: أن البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قديمين ولذلك فائدة كبيرة في حياة

النفوس وقد عاملهم بنو أمية معاملة السادة للعبيد، فكان العنصر العربي بينهم هو صاحب الكلمة العليا والنفوذ السائد ولا يتولى من ليس منهم شيئاً من الولايات العامة، فكان أهل فارس مستعدين لأن يقوموا بتغيير الدولة الحاضرة وإخراج الخلافة إلى الدولة المستقبلة كي يكون لهم فيها حظ أحسن من حظهم في دولة بني أمية. قال أبو بكر بن أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه في كتاب البلدان:

وقد كان محمد بن علي بن عبد اللّه قال لدعاته حين أراد توجيههم إلى الأمصار: أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده. وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، تقول: كن عبد اللّه المقتول ولا تكن عبد اللّه القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم. وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر. ولكن عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تقسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة. وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق.